

حقّ المرأة بحفظ حقوقها



قال تعالى: (إِذْ وَلَّيْنا الْاَذِينَ اَمَنَّا يَخْرُجُوهُم مِّنَ الْمُدُنِ اِلَـى النُّوْرِ) (البقرة/ 257). لا شكّ أنّ الإسلام العظيم يحمل في طياته مفاهيمه وأحكامه طريق هداية البشر ليخرجهم من الظلمات إلى النور، هذه الأحكام التي جاءت لتلائم الإنسان بصفاته وتوجهاته وخصائصه، ولتعطي كلّ مكلف طريق هدايته المناسب له. من هنا كان للمرأة بعنوانها الخاص العديد من المسائل والأحكام والمفاهيم المتعلقة بها، والتي لا تستغني المرأة المسلمة عن معرفتها والالتزام بها لتكون نورا يعينها على دنياها بما تضمن به دنيا كريمة وآخرة سعيدة بجوار الأنبياء والصالحين. «الذّساء شقائق الرّجال» كما جاء في الحديث الشريف.. فالمرأة إنسان متكامل له دوره الاجتماعي العام وحياته الفردية الخاصّة به، بحسب ظروفه الشخصية والاجتماعية، ومن هذا المنطلق نشير إلى خطاً كثير من برامج التربية وخطط إعداد المرأة التي تُبنى على أساس تهيئة المرأة لتكون زوجة وأُمّاً دون الالتفات بشكل أساس إلى إعداد المرأة لتكون «إنساناً» متكاملاً وسوياً ورشيداً لينهض بشؤونه الفردية ويقوم بتكاليفه الاجتماعية على أحسن وجه. فإنّ مهام الزوجية والأُمومة - على رفعتها وقديسيتها وأهمّيتها - تمثّل جزءاً من حياة المرأة ودوراً من أدوارها الشامخة التي تؤدّيها لا كلّ حياتها ولا جميع أدوارها. فالمرأة مرأة قبل أن تكون زوجة وأُمّاً وبعد ما تكون زوجة وأُمّاً.

لذا كان من الضروري بمكان أن تتوجه برامج التربية والتعليم والخطط الإرشادية والتنموية للمرأة إلى إعدادها كإنسان بذّاء وخلاق وكفوء وفاعل في المجتمع.. إنسان سوي ورشيد كسائر أفراد المجتمع ليتّخذ القرار الصائب ويخطط طريقه السليم في الحياة، فإنّ المرأة، كما الرجل، كلّ مسؤول عن حياته في يومه وغده، في دنياه وآخرته، ولا يعذر الله تعالى ولا القانون المرأة في أن يتّخذ الغير لها قرار حياتها، أو يوجهها دون إرادتها واختيارها، بل «كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته». ويبقى إعداد المرأة لأن تكون زوجة أو أُمّاً، ربّما تتعلّمه المرأة بشكل طبيعي حين تكون متعلمة، كسائر دروس الحياة، وتختص به يوم تريد أن تكون زوجة، وكذلك الأُمومة التي تحس بها وتتلّمسها هي من المحيط الذي حولها وتعدّ لها الاعداد الخاص يوم فعلاً تريد أن تكون أُمّاً.

إنّ الدّين الإسلامي لم يفضّل الرجل على المرأة ولا المرأة على الرجل في تشريعاته المختلفة،

سواء كان ذلك في مجال الحقوق أو مجال الواجبات.. بل أعطى كلاهما حقوقه الكاملة، وكلّـف كلاهما باداء واجباته حسب إمكانياته وظروفه وطبيعته الخاصة.. وما التمييز الظاهري الذي نشاهده في أشكال التشريعات سواء كان في مجال الحقوق أو الواجبات سوى فهم المشرع الإسلامي لطبيعة دور كل منهما وإمكانياته الذاتية والاجتماعية.

وهنا نقف نحن على مفترق طرق، لنتأمّل في أسلوب تعاملنا مع المرأة ونعيد النظر في واقعنا الحيّاتي الذي يقع تحت تأثير موروثات تاريخية عتيقة أو موجات ثقافية وإعلامية جديدة.. نعيد النظر في الأفكار والأعمال لنعيد صياغتها وترتيبها كما يريد الله تعالى منّا، لنحيا حياة طيّبة ونموت ميتة طيّبة، حياة ملؤها العزّة والكرامة والطهّر والنقاء. ولا تتكامل حياتنا ولا تقترب من الإسلام إلّا عندما نعيش العدالة في كلّ أبعاد حياتنا الفردية والاجتماعية، ومن أهمّها حياتنا الأسرية وكيفية تعاملنا مع المرأة في البيت والمجتمع، والذي يجب أن يقوم على أساس احترام كرامتها الإنسانية وحفظ حقوقها الفردية والاجتماعية. كما إنّ تقدّم أي مجتمع رهين باكتساب أفراده حقوقهم، بما في ذلك حفظ كراماتهم ومساواتهم أمام القانون، فقيمة كلّ مجتمع بقيمة الإنسان في ذلك المجتمع، والرجل والمرأة في ذلك سواء.